

التفسير المطول - سورة آل عمران 003 - الدرس (19-60): تفسير الآيات 64 - 68

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-04-2001

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس التاسع عشر من دروس سورة آل عمران ، ومع الآية الرابعة والستين، وهي قوله تعالى :

( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ )

( سورة آل عمران : الآية 64 )

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

#### 1 - وحدة الأصل تعني وحدة الفروع :

هذه الأديان أو هذه الشرائع أليست هي من عند الله ؟ هناك قاعدة أصولية أن وحدة الأصل تعني وحدة الفروع ، فما دامت هذه الشرائع قد جاءت من عند الله عز وجل ، و الله واحد لا شريك له ، إذا فلا بد من وحدة في هذه الشرائع .

القرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة فقال :

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) )

( سورة الأنبياء : الآية 25 )

#### 2 - نهاية العلم التوحيد :

كل شيء جاءنا من عند الله من خلال الرسل يتلخص بكلمتين : التوحيد والعبادة ، فالدين عقيدة و طاعة ، تصور و سلوك ، فكر نظري و تطبيق عملي .

### ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) )

( سورة الأنبياء : الآية 25 )

قال العلماء : نهاية العلم التوحيد ، و نهاية العمل التقوى ، الحقيقة أنا مضطر أن أبين الفرق بين أن تُحصَل علماء أرضياً من جامعات العالم هذا العلم متعلق بخلق الله ، و بين أن تتعرف إلى الله ، فرق كبير بين أن تعرف الله ، وأن تتعرف إلى قوانين خلقه ، قوانين خلق الله عز وجل تعرفها في العلوم العصرية في جامعات الأرض ، لكنك إذا أردت أن تعرف الله ينبغي أن تتفكر في خلقه ، و في كلامه ، و في أفعاله ، إنها المصادر الثلاثة لمعرفة الله عز وجل .

### 3 - ما كل ذكي بعقل :

النقطة الدقيقة أنه ما كل ذكي بعقل ، قد يتفوق الإنسان في اختصاصه ، قد يبرع في حرفته ، قد يبلغ الدرجة العليا فيما هو فيه ، أما إن لم يعرف الله و لم يعرف سر وجوده و غاية وجوده فهو عند الله ليس بعقل ، و الآيات التي تتحدث عن العقل و العلم تقترب من ألف آية :

( أَفَلَا تَعْقِلُونَ )

( سورة آل عمران : الآية 65 )

( لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )

( سورة الأعراف : الآية 176 )

( لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ )

( سورة الأنفال : الآية 57 )

( مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ )

( سورة الصافات : الآية 154 )

( فَأَنَا تُصْرَفُونَ )

( سورة يونس : الآية 32 )

الآن ربنا عز وجل يبين أن هذه الشرائع من عند الله كلها :

( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ )

( سورة آل عمران : الآية 64 )

### 4 - لا طاعة إلا لله ورسوله :

القاسم المشترك ألا نعبد إلا الله ، العبادة لله وحده ، لا يوجد جهة في الأرض مخولة أن تطيعها أبداً ، النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو سيد الخلق ، وحبیب الحق يقول الله له :

## ( قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي )

( سورة الأعراف : الآية 203 )

أنا متبع ، سيدنا الصديق : إنما أنا مُتَّبِع ، ولست بمبتدع ، ولا جهة في الأرض مهما علا شأنها يمكنك أن تعبدها من دون الله ، أو أن تطيعها من دون دليل ، هذه النقطة في الإسلام مهمة جداً ، نحن جميعاً نؤمن أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده - وحده - بينما أمته معصومة بمجموعها ، الله عز وجل أمرنا أن نأخذ من نبيه قال :

## ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا )

( سورة الحشر : الآية 7 )

لأنه عصم نبيه من أن يخطئ في أقواله ، وأفعاله ، وإقراره ، وأحواله ، هو المعصوم ، في حياة المسلمين إنسان واحد تطيعه من دون أن تطالبه بالدليل هو رسول الله ، أما غير رسول الله فما من إنسان يمكن أن تطيعه من دون دليل أبداً ، الصديق رضي الله عنه قال : << أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم >> ، أي راقبوني .  
هذه قاعدة أساسية : لا تقبل شيئاً من دون دليل ، ولا ترفض شيئاً من دون دليل ، فعن علي رضي الله عنه :

(( أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا ، فَأَوْقَدَ نَارًا ، وَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا ، وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا ، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا : لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَقَالَ لِآخَرِينَ : لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ إِنَّمَا الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ ))

[ البخاري ، مسلم ، النسائي ، أبو داود ، أحمد ]

النبي ربي رجال ، علمهم كيف يفهمون الأمور ، و كيف يزينون الموضوعات :

## ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ )

( سورة آل عمران : الآية 64 )

من ينبغي أن تعبده ؟ الذي خلقك :

## ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ )

( سورة البقرة : الآية 21 )

لأن الخالق هو الصانع ، و قال تعالى :

## ( وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ )

( سورة فاطر : الآية 14 )

لن تجد في الأرض كلها جهة تملك أسباب سعادتك إلا الله ، و هؤلاء البشر حينما تركوا الدين وقعوا في شر أعمالهم ، المجتمعات البشرية في بؤس شديد ، إما في ترف مع التفسخ ، وإما في قهر ، وفقر مع الحاجة ، لأنهم ما اتبعوا منهج الله عز وجل ، و أكاد أقول ما من مشكلة في الأرض على الإطلاق إلا بسبب خروج عن منهج الله ، و ما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، و الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به :

( أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ (64) )

لا ينبغي أن تكون أنت لغير الله ، لا يليق بك أن تكون لغير الله ، لا يليق بإنسانيتك أن تكون لغير الله ، لا يمكن أن تحسب على غير الله ، أنت إنسان خلقك الله ، وكرمك ، وجعلك المخلوق المكرم ، أنت لله ، الماء للتراب ، والتراب للنبات ، والنبات للحيوان ، والحيوان للإنسان ، والإنسان لله ، وأنت لله :

( أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ (64) )

لذلك قل :

( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون )

(سورة العنكبوت : الآية 56)

أيّ مكان في الأرض حال بينك و بين طاعة الله ينبغي أن تغادره فوراً ، منعك من طاعة الله ، لأنك مخلوق لعبادة الله :

( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون )

(سورة الذاريات : الآية 56)

ألا نعبد إلا الله لأنه الذي خلق ، و لأنه الرب الممد ، و لأنه المسير ، و لأنه الإله ، ولأنه الخبير ، ولأنه العليم ، ولأنه الغني ، ولأنه القوي ، ولأنه الرحيم ، فكل سعادتك ، وسلامتك بطاعة ربك ، وكل شقائك ، وهلاكك بمعصية ربك ، و هذا معنى قوله تعالى :

( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا )

(سورة الأحزاب : الآية 71)

( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا )

(سورة آل عمران : الآية 64)

## 6 - الشرك أخطر شيء على وجه الأرض ولا سيما الخفي منه :

إخواننا الكرام ، أخطر شيئاً في حياة المسلمين الشرك ، الشرك نوعان : جلي و خفي ، الجلي فيما أعتقد لا وجود له في العالم الإسلامي في الأعم الأغلب ، ليس في عالم المسلمين إله يُنحت ، و يُعبد من دون الله ، فعن أبي سعيدٍ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَقَالَ :

**(( أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، فَقَالَ : الشِّرْكَ الخَفِيِّ ))**

[ أحمد ، ابن ماجه ]

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

**(( إِنَّ أَخْوَفَ مَا اتَّخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ : يَعْْبُدُونَ شَمْسًا ، وَلَا قَمَرًا ، وَلَا وَتْنَا ، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَشَهْوَةً خَفِيَّةً ))**

[ أحمد ، ابن ماجه ]

إذاً : الشيء الخطير هو الشرك الخفي :

**( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِنَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )**

( سورة يوسف : الآية 106 )

بسبب الشرك الخفي يوافق بعض المسلمين ، بسبب الشرك الخفي يخاف بعض المسلمين أن يطيع الله ، يخافون مما سواه ، بسبب الشرك الخفي يغش المسلم في البيع والشراء ، يرى أن هذا المال الذي سيحصله من خلال الغش أعلى عنده من الله ، من طاعته ، بسبب الشرك الخفي يطيع بعض المسلمين زوجاتهم ، ويعصون ربهم ، بسبب الشرك الخفي تطيع مخلوقاً ، و تعصي خالقاً .  
لو أنك وحدت الله لا يمكن أن تعصيه ، لماذا تعصيه ؟ الأمر بيده ، و الرزق بيده ، والصحة بيده ، وأهلك بيده ، وأولادك بيده ، ومن حولك بيده ، ومن فوقك بيده ، ومن تحتك بيده ، فإذا أرضيت الله وحده رضي الله عنك ، وأرضى عنك الناس ، اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها ، من جعل الهموم همماً واحداً كفاه الله الهموم كلها .

إذاً :

**( أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَنَا شِرْكٌ بِهِ شَيْئًا )**

الشرك أيها الإخوة أخفى من ديبب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، نملة سمراء ، تمشي على صخرة صماء ، في ليلة ظلماء ، ألا يُسمع ديبب أقدامها ؟ بالتأكيد لا يُسمع ، الشرك أخفى ، أدناه أن تحب على جور ، أي إنسان جاءك منه خير مادي فأحبيته ، وهو ليس على ما ينبغي أن يكون ، هذا شرك ، أو إنسان نصحك بأدب جم فانزعجت منه لأنه خدش كبريائك ، هذا شرك ، أن تحب على جور أو أن تبغض على عدل ، حينما ترجو ما عند إنسان فهو شرك ، حينما تخاف من إنسان ، ولا تخاف من الله ، هذا شرك ، حينما تحرص على سمعتك أمام الناس ، ولا تحرص عليها أمام الله ، حين تتجمل أمام الناس ، ولا تُحسن منظر الله عز وجل في قلبك ، ظهرت منظر الخلق سنين ، تطلي بيتك ، تنظف مركبتك ، تتأنق في ملبسك ، هذا منظر الخلق ، الخلق ينظرون إليك ، إلى بيتك ، إلى مدخل بيتك ، إلى غرفة الضيوف ، إلى نظافة البيت ، إلى نظافة الجدران ، إلى نوع الأثاث ، إلى تنسيق الألوان ، لكن الله ناظر إلى قلبك ، فيه غش ، فيه حسد ، فيه بغي ، فيه عدوان ، فيه لؤم ، فيه كبر ، فيه غطرسة ، كما ورد في بعض الآثار : " **عدي ظهرت منظر الخلق سنين ، أفلا ظهرت منظري ساعة** " .

أن ترجو غير الله ، أن تخاف من غير الله ، أن تعطي لغير الله ، أن تمنع لغير الله ، ألا تغضب الله ، ألا ترضى الله ، فهذا شرك ، وهذا هو الشرك الخفي ، وهذا ما تعنيه الآية الكريمة :

( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )

( سورة يوسف : الآية 106 )

نعوذ بالله من الشرك الخفي :

( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )

( سورة آل عمران : الآية 64 )

بالتأكيد لن نقول لإنسان : أنت ربي ، لكنك تعامله ، و كأنه رب ، تطيعه طاعة عمياء من دون دليل ، ترضيه و لو بسخط الله ، تخافه ، ولو عصيت الله ، اتخذته رباً ، أعطاك توجيهها بلا دليل ، فنفذت هذا التوجيه ، نهاك عن شيء واجب فتركت هذا الشيء الواجب ، أمرك بمعصية فنفذتها إنك اتخذته إلهاً ، واتخذته رباً ، و قد قال الله عز وجل :

( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )

( سورة التوبة : الآية 31 )

## لا تطع أي إنسان مهما كان إن أمر بمعصية :

و قد تجد بعض المسلمين لضيق أفقهم ، ولجهلهم يعبدون بعضهم بعضاً ، يكفي أن شيخه قال له كذا ، ولو أمره بمعصية ، لو منعه من طاعة ، يقول لك بالتعبير الدارج لو قال : اللين أسود ، أسود ، ما علمنا النبي هذا ، علمنا أن نستبصر ، علمنا أن نسأل ، فعن أبي هريرة قال :

(( صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتِي الْعَشِيِّ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ..... وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ طَوِيلُ الْيَدَيْنِ يُسَمَّى ذُو الْيَدَيْنِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنْسِيَتَ الصَّلَاةَ أَمْ قَصِرْتَ ؟ فَقَالَ : مَا نُسِيَتُ ، وَلَا قَصِرْتَ الصَّلَاةَ ، فَقَالَ : أَوْ كَذَلِكَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَرَجَعَ فَأَتَمَّ مَا بَقِيَ ، ثُمَّ سَلَّمَ ، وَكَبَّرَ فَسَجَدَ طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَكَبَّرَ ، وَسَجَدَ مِثْلَ مَا سَجَدَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْصَرَفَ ))

[ البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد ، مالك ، الدارمي ]

نُسي النبي لكي يسن لنا سجود السهو ، لو أن النبي لم يسهو في حياته ولا مرة ، هذا الحكم معطل ما كنا عرفناه ، نحن ننسى ، فالنبي ربي أصحابه أن يسألوا ، أن يستوضحوا ، صحابي جليل رأى موقع بدر غير مناسب ، من شدة غيرته و محبته و إخلاصه سأل النبي بأدب جم ، قال : يا رسول الله ، هذا الموقع وحي أوحاه الله إلي ؟ أي إذا كان وحياً و لا كلمة ، أم هو الرأي والمشورة ، فالنبي قال له : لا ، هو الرأي و المشورة ، قال : و الله يا رسول الله ليس بموقع ، يخاطب من ؟ يخاطب سيد الرسل ، يخاطب سيد الأنبياء ، يخاطب الذي يوحى إليه ، يخاطب المعصوم ، فالنبي عليه الصلاة و السلام بخلق رفيع قال: أين الموقع المناسب ؟ فدلّه عليه ، قال : جزاك الله خيراً ، و أعطى أمراً لأصحابه بالتوجه ، أي المؤمن الصادق يغار على سمعة المسلمين ، يسأل ، يستفهم ، يستوضح ، ينتقد نقداً بناءً ، يعترض أحياناً ، لأن الله هو قصده ، أما إذا كانت الدنيا قصده ومصالحه مؤمنة بسكوته يسكت ، إذا كانت الدنيا قصده ، ومصالحه تتحقق بسكوته تراه يسكت ، أما إذا كان الله قصده ينبغي أن ينطق ، أن يسأل ، أن يستفهم، أن يستوضح ، أن ينتقد أحياناً ، فلا معصوم إلا النبي ، ما من أحد أصغر من أن ينقذ ، و ما من أحد أكبر من أن ينقذ ، كل إنسان يؤخذ منه ، و يرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس ، وما جاءنا عن أصحابه فعلى العين والرأس ، وما جاءنا عن التابعين فعلى العين والرأس ، لأن الله شهد لهذه العصور الثلاثة بالخيرية ، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(( خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ))

[ البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد ]

وما جاءنا عن سواهم ، فنحن رجال و هم رجال ، للإمام علي كرم الله وجهه كلمة رائعة قال : >>  
نحن نعرف الرجال بالحق ، و لا نعرف الحق بالرجال << .

فلان قال : أنت أفهم منه ، و لكن يوجد آية ، يوجد نص قطعي الدلالة ، فلان أفتى بالربا أنت مثل علمه ؟ أنا معي نص :

**( فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ )**

( سورة البقرة : الآية 279 )

لا معصية في القرآن توعده الله على مرتكبها بالحرب إلا الربا ، من هذا الذي يحق له أن يقول لك : الربا مباح ؟ من هذا الذي يجرو أن يحل معصية توعده الله عليها مرتكبها بالحرب ؟ البطولة أنك تعرف الرجال بالحق ، الحق هو الأصل ، والخطأ الشنيع أن تعرف الحق بالرجال ، أناس كثيرون يقول لك : هكذا علمنا والدنا ، والدك ليس على حق ، أبي لم يرد أن نعمل تفرقة بالعائلة ، يجمع الأصهار و زوجاتهم على مائدة واحدة ، هكذا علمنا أبي ، ليس هناك دليل ، فعن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

**(( إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُرَأَيْتَ الْحَمَوَ ؟ قَالَ : الْحَمَوُ الْمَوْتُ ))**

[ البخاري ، مسلم ، الترمذي ، أحمد ، الدارمي ]

ليس من المعقول أن يرى الصهر أخت زوجته ، وقد تكون أجمل منها ، ثم لا يتمناها ، ثم لا يملأ عينيه من محاسنها ، والدي لو يرد أن يفرق العائلة ، هل هذه آية أم حديث ؟ هذا كلام والدك ، نحن معنا قرآن ، معنا سنة ، معنا كلام معصوم ، فأنت الأصل أن تعرف الحق و من خلال الحق يمكن أن تقيم الرجال ، لذلك :

**( أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )**

**8 - يجب أن نحرص على التوحيد بأن لا يشوبه شرك مهما صغر :**

إله واحد ، أنا أعتقد أنه ما من رجلين على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أحبا بعضهما بعضاً كرسول الله و أبي بكر ، أبو بكر و عمر مني بمثل السمع و البصر ، فما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر .

ومع ذلك لما مات النبي عليه الصلاة و السلام ماذا فعل الصديق ؟ قال : << من كان يعبد محمداً - فقط محمداً لم يقل رسول الله - فإن محمداً قد مات ، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت >> . ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، سيدنا عمر ، سيدنا خالد انتصر ، و انتصر ، فتوهم المسلمون أنه ما من معركة يقودها خالد إلا انتهت إلى النصر ، فخاف عليهم الشرك فعزل خالد ، سيدنا خالد تألم ، قال له : << يا أمير المؤمنين لما عزلتني ؟ قال له : و الله إني أحبك ، قال : لما عزلتني ؟ قال : و



الله إنني أحبك ، فسأله مرة ثالثة لما عزلتني ؟ قال له : و الله ما عزلتك يا بن الوليد إلا مخافة أن يفتتن الناس بك لكثرة ما أبليت في سبيل الله << .

و أنت راقب نفسك لمجرد أن تتكئ على إنسان ، لمجرد أن تعقد الأمل عليه ، لمجرد أن تتوقع منه الخير ، لمجرد أن تعتز به و أن تنسى ربك ، هذا الإنسان الذي أشركته مع الله لا بد من أن يخيب ظنك بتوجيه الله إنقاذاً لك من الشرك ، الشرك هو الطامة الكبرى :

**( أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَكَمَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَكَمَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )**

لو أن أتباع الأديان التي جاءتنا من عند الله عبدوا الله وحده ، ولم يشركوا به شيئاً ، وما اتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله لاجتماعهم ، وتعاونوا ، فإن أبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن أبوا إلا أن يشركوا ، إن أبوا إلا أن يعبدوا غير الله ، فإن أبوا إلا أن يشركوا بالله ، إن أبوا إلا أن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله قال :

**( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُولُوا ائْتَهُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ )**

( سورة آل عمران : الآية 64 )

**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُولُوا ائْتَهُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ**

الأنبياء كلهم وُصِفوا في القرآن بالإسلام :

هذا هو الإسلام ، الإسلام هو الاستسلام لله ، و الذي يلفت النظر في القرآن الكريم أنه ما من نبي في القرآن إلا و قد وصف بأنه مسلم ، بل إن فرعون حينما أدركه الغرق قال :

**( وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )**

( سورة الأحقاف : الآية 15 )

الإسلام بالمعنى الواسع لا بالمعنى الذي يعني أن هذا الدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، بالمعنى الواسع الاستسلام لله ، والآية الدقيقة :

**( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ )**

( سورة آل عمران : الآية 19 )

أي أصل الدين عند الله الإسلام ، أن تستسلم لله ، وألا تعبأ بمن دونه ، قال :

**( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ )**

( سورة آل عمران : الآية 65 )

## يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ

### 1 - مزاعم اليهود في إبراهيم :

أي اليهود ، فقد قالوا ، كان إبراهيم يهودياً ، و النصارى قالوا ، كان إبراهيم نصرانياً ، فقال الله عز وجل :

( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ )

( سورة آل عمران : الآية 65 )

الحجة قوية ، هذا النبي الكريم ، هذا أبو الأنبياء حينما أرسله الله للخلق ما كان هناك يهودية و لا نصرانية ، لذلك قال الله عز و جل :

### 2 - رد الله على مزاعم اليهود في إبراهيم :

( هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ )

( سورة آل عمران : الآية 66 )

أي بسيدنا عيسى .

( فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )

( سورة آل عمران : الآية 66 )

أي الحق صارخ ، الحق واضح ، الحق جلي ، فحينما ترى كلاماً لا ترتاح له ، ولا يتفق مع الفطرة السليمة ، ولا مع العقل الصريح ، ولا مع النقل الصحيح ، ولا مع الواقع الموضوعي هذا باطل ، الحق ما جاء به النقل الصحيح ، وأيده العقل الصريح ، وارتاحت إليه الفطرة السليمة ، وأكده الواقع الموضوعي هذا هو الحق :

( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ(65) هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ )

( سورة آل عمران )

بعضهم قال : لي صديق كان من أعظم الناس في عيني ، و كان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه ..... إلى أن قال : و لا يدلي بحجة إلا إذا رأى قاضياً فهماً ، وشهوداً عدولاً ، و كان خارجاً عن سلطان الجهالة ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، و لا يماري فيما علم .

أي مسلم لا هو فهم كتاب الله ، و لا قرأ كتاب الله ، و لا اطلع على حديث رسول الله ، و لا فهم أحكام الفقه ، لكن يقول لك سمعت ندوة من فضائية ، أي يقبل على مزاجه ، و يرفض على مزاجه ، و يُقيم على مزاجه ، و كأن الحديث في الدين كالأرباح لكل الناس ، من يجرو أن يكتب على بيته الدكتور فلان ، اختصاصي في أمراض القلب ، وهو أمي لا يقرأ و لا يكتب ، ماذا يفعلون به ؟ يضعونه في السجن ، من يجرو أن يكتب المهندس فلان ، وهو جاهل ؟ من يجرو أن يكتب المحامي فلان ، وهو جاهل ؟ هناك محاسبة ، و مساءلة ، لكن كل شخص من دون أن يطلب العلم ، من دون أن يقرأ القرآن ، من دون أن يفهم القرآن ، من دون أن يقرأ سنة النبي العدنان ، من دون أن يفهمها ، من دون أن يفهم أحكام الفقه ، من دون أن يعرف أصول العقائد يتكلم في الدين ، فيقبل ، و يرفض ، و يُقيم ، و يطعن ، و يمدح ، هو مرتاح ، أي علم حصلته حتى تتكلم بهذا الكلام ؟ لابد من أدب مع الله ، اطلب العلم .

الآن في البلد مجالات طبية كثيرة إذا اشترى شخص عدة مجلات ، و قرأ في كل مجلة مقاليتين أو ثلاثاً ، وهناك أسئلة وأجوبة ، هذا في الأمراض الباطنية ، و القلبية ، و الرئوية ، و البولية... هذا بعد مطالعة عشرين ، أو ثلاثين مجلة ، و قرأ مقالاتهم ، و قرأ السؤال والجواب ، هل يكون طبيياً ؟ هذا والله حال المسلمين اليوم ، سمع خطبة ، قرأ كتاباً ، قد يكون فيه دس لا يعلمه إلا الله ، سمع ندوة من إنسان باع دينه بدنياه ، ليس منضبطاً ، فيقبل ، و يرفض ، و يزكي ، و يقبح ، و يطعن ، يقبل على مزاجه ، و يرفض على مزاجه ، أهكذا ؟

مرة قلت للإخوة الكرام في إحدى الخطب : خذوا دينكم عن الأرضيات لا عن الفضائيات ، لأن الذين يتحدثون في بعض هذه الفضائيات ينسجمون مع ممولياها ، و ينسجمون مع أن تتسع رقعة شعبيتهم على حساب دينهم ، كل شيء أصبح حلالاً ، الرقص ، والغناء ، و التمثيل ، و الموسيقى ، و سفر المرأة بلا محرم ، لم يبق شيئاً ، و الربا ، لم يبق شيئاً بقي الإسلام شكلاً ، غلاف بلا مضمون :

( مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ )

[ سورة آل عمران : الآية 67 ]

#### 4 - كان إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً :

كان إبراهيم حنيفاً مسلماً ، أي مائلاً إلى الله ، أكد علماء العقيدة أن العبادة طاعة طوعية ، وليست طاعة قسرية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، فلو أطعت الله ولم تحبه ما عبدته ، ولو أطعته ، ولو أحببته ، ولم تطعه فما عبدته ، لا تكون عابداً إلى إذا أطعته طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية .

كان حنيفاً مائلاً إلى الله ، أي إنسان قوي شهر عليك سلاح ، وقال لك: أعطني ما في يدك من طعام ، فقد أطعته ، هل تكون قد عبدته ؟ أعوذ بالله ، أنت مقهور ، لذلك نعجب في القرآن من جمع العبد على عباد تارةً ، وجمع العبد على عبيد تارةً أخرى ، فقال تعالى :

( وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ )

( سورة فصلت : الآية 46 )

وقال :

( وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا )

( سورة الفرقان : الآية 63 )

قال العلماء : العبيد جمع عبد القهر ، بينما العباد جمع عبد الشكر فالمقهور في وجوده وفي استمرار وجوده إلى الله هذا عبد قهر جمع عبيد ، وما ربك بظلام للعبيد ، أما الذي تعرف إلى الله طواعية مبادرةً منه عن اختيار ، عن محبة فهذا عبد الشكر يجمع على عباد ، قال تعالى :

( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ )

( سورة الحجر : الآية 42 )

فرق دقيق بين العبيد والعباد ، قال تعالى :

( مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ )

التركيز على الشرك ، طامة المسلمين الكبرى الشرك :

( وَلَا يَتَّخِذِ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ )

#### 5 - الدعوة إلى توحيد الله لا إلى الأشخاص والأفكار :

فكان رأسهم بينهم ، هناك من يدعو إلى ذاته بدعوة مغلقة إلى الله ، هذا لا يتبع بل يبتدع ، هذا لا يتعاون ، بل يتنافس ، هذا لا يقر بفضل الآخرين ، بل ينتقص منه ، هذا لا يسالم بل يعادي ، و ما من فرقة ضالة في تاريخ المسلمين إلا و هي تتصف بصفات أربع ، تأليه الأشخاص :

( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (31) )

( سورة التوبة : الآية 32 )

و في أي دين إذا اتخذ رجال الدين أرباباً من دون الله انحرف هؤلاء ، تأليه الأشخاص، و تخفيف التكاليف ، واعتماد النصوص الموضوعية والضعيفة ، والنزعة العدوانية ، بينما أهل الحق يتبعون ولا يبتدعون ، يعتمدون النصوص الصحيحة ، عند الأمر و النهي يتعاونون ولا يتنافسون :

( وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ )

( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ )

( سورة الأنعام : الآية 159 )

( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ )

( سورة آل عمران : الآية 68 )

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

أولى الناس باتباع إبراهيم النبي والمؤمنون :

إن أولى الناس بإبراهيم ، نقول نحن في الصلاة : اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ،

( لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ )

أيها الإخوة الكرام .

( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا )

الذين صدقوا دينه الحنيف ، و النبي عليه الصلاة و السلام هو دعوة أبينا إبراهيم ، كما قال عن نفسه : أنا بشارة أخي عيسى و دعوة أبي إبراهيم ، و إبراهيم أبو الأنبياء :

( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ )

و في درس قادم إن شاء الله نتابع هذه الآيات التي مطلعها :

( وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(69) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

تُكْفِرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ )

( سورة آل عمران )

و الحمد لله رب العالمين

هناك بعض الأسئلة :

س - إلى متى يحل للمصلي أن يصلي صلاة العشاء ؟ هل للفجر ؟

ج - الحقيقة بعد منتصف الليل تكره صلاة العشاء ، دخلت في وقت الكراهة ، أفضل الصلاة في أول وقتها ، يوجد وقت الاستحباب ، وهناك وقت الإباحة مقبولة ، وهناك وقت كراهة ، إذا صليت العشاء بعد منتصف الليل فهذا وقت كراهة .

س - جاء خاطب يخطب فتاة فاستخارت الفتاة الله عز وجل عن طريق شيخ قدير فقال لها : الآن وأول الأمر تكون الخطبة فيها خير و لكن بعد كتابة العقد يظهر المخفي ، المهم أن الخطبة لا خير فيها مما جعل أهل العروس يحتارون ، ويترددون ، وقد مضى أشهر على موضوع الخطبة ، فكيف عرف هذا الشيخ مثلاً ؟

ج - الشيء الثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام سن لنا صلاة الاستخارة ، ولم يرد عنه أبداً أن أحداً استخار عن أحد ، لا أحد يستخير عن أحد ، لك عند الله المكانة نفسها ، تصلي ركعتين و تقول : اللهم بعلمك و قدرتك إن كان في هذا الأمر خير لي في ديني و دنيائي و عاقبة أمري فيسره لي ، يقول لك : أنا استخرت الله فتحت المصحف ، و لم أجد فيه آية مشجعة ، من قال لك : إن فتح المصحف هو جواب الله عز وجل ، من قال لك ذلك ؟ قضية فتح المصحف ، وقضية أن رأيت في منامي شيئاً جميلاً جداً ، رأيت نفسي أمام نور ، الرد الإلهي إذا استخرت الله في شيء ، وأراده الله لك ، وأنت صادق يسره لك ، الرد الإلهي هو التيسير فقط ، أما أن أكلف شيخاً أن يستخير لي لم يرد هذا عن رسول الله أبداً .

س - تكررت كلمة أثر في دروسك ، ما المقصود ؟

ج - أي ما ورد عن أصحاب رسول الله ، أو عن التابعين ، يقال ورد في الأثر ، لعله حديث ضعيف ، لكن ورد عن بعض الصحابة ، نقول : أثر حتى لا نتورط ، ونقول : قال رسول الله ولم يقله ، أي حكمة رائعة عن صحابي وردت ، عن تابعي ، لعلها حديث ضعيف نُقل عن رسول الله ، ثم عزي إلى الصحابي فرضاً ، فأقول أنا : ورد في الأثر ، هذا اسمه في علم الحديث صيغة تمريض ، كلام لطيف ، حكمة رائعة ، لكن لم ترد عن رسول الله يقيناً .

## والحمد لله رب العالمين